الباب السادس

استراتجيات مثلث الصراع

استراتيجية طهران

إن إيران تحاول أن تحظى بتعاون عدة دول تقع على الهامش الاستراتيجي الجغرافي للمنافسة بين الولايات المتحدة وإيران من أجل خلق شبكة من العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية أو الشركاء الذين يستطيعون أن يقللوا من آثار العقوبات الدولية الموقعة على إيران ويقاومون المحاولات الغربية للحد من طموحاتها الدولية وهؤلاء الشركاء على تلك الأطراف الجغرافية يقعون بصورة أساسية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ويعملون أيضًا كأسواق بديلة للنفط الإيراني ويوفرون غطاءً دبلوماسيًّا للجهود النووية الإيرانية ويساعدون إيران في استحواذها على البضائع المحظورة عليها طبقًا للعقوبات الاقتصادية الدولية والاستراتيجية الإيرانية تعمل بعيداً عن أيدلوجيتها الدينية من أجل هدف إنشاء تحالف من الدول غير الغربية أو المعادية للغرب تكون قادرة على التأثير في محددات التنافس بينها وبين الولايات المتحدة(١)، وتلك الدول تعِدُها إيران بالمساعدات الاقتصادية في مجالات الطاقة كما تستمر في وصف عزلتها الحالية على يد الولايات المتحدة والغرب بأنها

---

١) براندون فيت مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ترجمة: مركز الشعلة للأبحاث

استمرار للإمبريالية الغربية، وتعتمد على كونها من دول حركة عدم الانحياز لاستدرار الدعم من الدول الفقيرة والمحبطة في القارتين الأفريقية واللاتينية والتي لها مظالم مع النظام الغربي ودوله الكبرى وطبقًا للقادة الإيرانيين فإن المنافسة الإيرانية مع الولايات المتحدة وحلفائها لا تعتبر مجرد مسابقة بين الدول، ولكن صراع بين الرؤى العالمية للفريقين، فالولايات المتحدة تمثل دولة مستغلة في حين تقدم إيران نفسها على أنها توفر الوعود بنظام بديل يؤدي إلى احترام سيادة الدول ومصالحها وخاصة الدول النامية منها، فقد تحدث الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد للجماهير في نيجيريا عام ٢٠١٠ ودعاهم إلى انفصال حاسم مع النظام العالمي الحالي الذي تسيطر عليه الدول الغربية، قائلاً: يجب علينا أن نطور التعاون المثمر بين الدول النامية من أجل انتشال أنفسنا من هيمنة القوى الغربية، وهذه الجهود مستمرة في الدول النامية المستقلة اليوم، يجب علينا أن ننشئ منظومة عمل جماعية برؤية تهدف إلى إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد مستقل تمامًا يعتمد على العدل والمساواة وبالرغم من أن معظم الدول التي تحاول إيران التعاون معها هي دول فقيرة اقتصاديًّا وضعيفة عسكريًّا، إلا أن طهران بسطت شبكة واسعة تحاول من خلالها أن تبني منظومة من الشركاء لموازنة الثقل الغربي وهيمنته على النظام العالمي، كما تهدف إلى أن تكون مركزًا للكتلة غير الغربية وإلى إضعاف النفوذ الأمريكي على إيران

عبر العالم النامي وقدرة الولايات المتحدة على مقاومة تلك الجهود الإيرانية لتوسيع شبكتها في تلك الدول تكون في أشد حالاتها في الدول التي تستفيد بصورة أكبر من المساعدات الأمريكية، كما أن التحول الإيراني إلى دول الأطراف يحمل في طياته إمكانية إضعاف المحاولات الأمريكية لاحتواء وعزل إيران، فبالرغم من أن شبكة طهران شبكة هشة إلا أنها قد تكون خادعة .

إن أول ما يلفت النظر فى تأمل السلوك الاستراتيجى الإيرانى فى الإقليم، هو هذه القدرة على التخطيط لإستراتيجيات متعددة وانفاذها جميعا بالتوازى والتزامن وفق نمط من التفاعل والارتباط بينها، من أجل تعزيز قدرات إيران كدولة إقليمية مسيطرة فى النموذج العراقى، فان لإيران مصلحة وهدفا ثابتا فى منع هذا البلد من التحول مرة أخرى إلى دولة قوية تناطح إيران وتحد من قدرتها على مد نفوذها وتحقيق أهدافها فى الإقليم العربى، وذلك هو أبرز ما تعلمته إيران واستنبطته من الحرب العراقية الإيرانية إيران تحرص على أن لا يصل إلى حكم العراق، أية قوى الآن أو مستقبلاً ذات موقف معاد لها ،أو ذات رؤى واستراتيجيات طموحة تعمل من أجل قوة العراق ،أى أن إيران تأخذ بالفكرة القائلة إن ضعف دولة الجوار إنما يعنى قوتها هى، وأن قوة دولة الجوار يحولها إلى دولة تهدد إيران .

ورغم وضوح الفكرة لدى المتابعين ،إلا أن الإستراتيجية الإيرانية اتسمت بالغموض فيما يتعلق بطبيعة الموقف الإيرانى من قوة الاحتلال الأمريكية فى العراق ومن القوى العراقية التى تتعاون معها إيران فى داخل العراق،إذ لا نجد أية تصريحات سياسية وإعلامية إيرانية على نفس درجة الوضوح كنظيرتها التى تتعلق بالقضية الفلسطينية وإذا كان مفهوما سبب إحجام إيران عن الإعلان عن القوى الداخلية العراقية التى تتعاون معها، باعتباره نمطاً من التحوط يراعى ضرورة عدم الظهور بمظهر المتدخل فى الشأن العراقى بسبب الحساسيات التاريخية بين البلدين حرب الخليج الأولى، فان عدم وضوح الموقف الإيرانى من الاحتلال الأمريكى للعراق - على نحو رسمى فعال- هو أمر تتعدد بشأنه الاحتمالات لدى المحللين والخبراء الاستراتيجيين وهناك رؤية بان إيران ركزت على انتقاد النظام السابق والتشهير به فى وسائل إعلامها ودعاياتها، لإيجاد مساحة تماس مع الاحتلال الأمريكى دون إعلان من خلال التركيز على نفس العدو، وفى ذلك حققت إيران فتحا لمساحة سياسية وإعلامية دون إعلان أيضا للقوى المتعاونة معها فى داخل العراق، على اعتبار أن أخطر ما يواجههما معا هو تلك القوى التى كانت تحكم العراق، ولذلك كان الخوف من انبعاث النظام السابق أو من وصول قوى أخرى معادية لإيران إلى سدة الحكم، هو ما يواجه ويضعف القوى المتعاونة مع إيران .

وهناك رؤية، أن هذا الغموض إنما يأتى نتيجة لتقديرات إيران لطبيعة القوى التى تتعاون معها داخل العراق، إذ هى قوى متعددة تختلف مع بعضها البعض أيضا، من حيث الرؤية للاحتلال وللحكم فى العراق ولطريقة التعاون أو الصراع مع القوى الأخرى فى العراق، ومن ثم فان أى وضوح جماهيرى للموقف الإيرانى قد يتسبب فى مشكلات حقيقية بين هذه القوى وبعضها البعض، كما يضعف إمكانيات استفادة إيران من كل القوى فى ذات الوقت، لتحقيق أهدافها الاستراتيجية .

وفى استطلاع السلوك الرسمى الإيرانى خلال التعامل مع قضايا وملفات السياسة الخارجية، يلفت النظر أن إيران تتبع استراتيجية الهجوم الدائم حتى لو كانت بصدد التراجع أو الالتفاف والمناورة، وأنها فى ذلك تمزج بين المواقف السياسية والإعلامية والاستعدادات العسكرية من خلال الاستعراضات المكثفة لعناصر قوتها الرادعة أو الهجومية أو من خلال الإعلان عن تطوير أسلحة هجومية جديدة ..الخ .

كما يلفت النظر أن الاستراتيجية الإيرانية هى حالة مركبة فى التوجهات وإدارة المعارك على الجبهات المتعددة وفى ذلك نراها تأخذ فى لبنان موقفا واضحا وقاطعا فى اتجاه محدد (حالة حزب الله)، بينما تأخذ بمواقف أخرى واتجاهات تتسم بالغموض على نحو ما فى استراتيجيتها فى العراق وأفغانستان، أو على الأقل هى تحرص فى تلك الحالتين على عدم كشف نمط استراتيجيتها وطبيعة القوى الداخلية التى

تتعامل معها (على خلاف حالة حزب الله) وكذا يلفت النظر، أن السياسة الإيرانية تقوم فى الأساس على الاقتراب من الخصم والالتصاق به من خلال حالة صراع ووفق حالة تفاعل، إذ إيران فى واقع الحال منخرطة فى صراعات فى العراق وأفغانستان بالقرب والتماس مع الاستراتيجية والوجود العسكرى الأمريكى والأطلسى، وكذا الحال من ناحية الفهم العام فى تعاملها مع إسرائيل ،إذ هى منغمسة فى صراع من نمط آخر ولكن عن قرب - لا عن بعد - من خلال علاقاتها ودورها مع حزب الله وحماس والجهاد وغيرها ..الخ .

وتأتى أهمية عرض تلك التأملات فى قضايا الاستراتيجية الإيرانية الآن من دخول إيران منعطفات جديدة فى سياستها الخارجية فى المرحلة الراهنة، سواء بحكم الحوار المتأرجح بينها وبين الولايات المتحدة، أو بحكم أنها صارت فى وضع الاستعداد لمواجهة التطورات التى جرت فى إسرائيل منذ وصول اليمين الأشد تطرفا إلى الحكم، وإعلاناته واستعداداته لقصف إيران وهو ما يطرح طبيعة التغييرات التى ستدخل على السلوك الاستراتيجى الإيرانى، وما إذا كانت تغييرات خارج السياق الذى رأينا إيران عليه من قبل، أم أنها تغييرات فى اللهجة والسلوك الإعلامى أكثر منها تغييرات فى الرؤى والسلك الاستراتيجى؟ أكد تقرير صادر عن الوكالة الدولية للطاقة الذرية أن إيران زادت عدد أجهزة الطرد المركزي لديها إلى ما يقرب من ٥ آلاف جهاز وباتت تمتلك من

اليورانيوم ما يكفيها لصنع قنبلة نووية .

وقال التقرير أن إيران زادت معدل إنتاجها من اليورانيوم منخفض التخصيب، مما عزَّز مخزونها من هذه المادة بحوالي ٥٠٠ كيلوجرام خلال الأشهر الستة الماضية، ليصل إلى ١٣٣٩ كيلو جرام، وهذه الكمية تتجاوز ما يلزم لإنتاج قنبلة ذرية واحدة ويقول الخبراء والمحللون أن كمية تتراوح ما بين ١٠٠٠ و١٧٠٠ كيلو جراما من اليورانيوم خفيف التخصيب تكون كافية لصنع قنبلة نووية واحدة

يُذكر أن الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد كان قد أعلن في يوليو الماضي أن بلاده تملك ما بين ٥ و٦ آلاف جهاز طرد مركزي .

قالت وكانت الوكالة الدولية للطاقة الذرية في مايو من عام ٢٠٠٨ أن إيران تمتلك ٣٥٠٠ جهاز طرد مركزي، بينما أشار مسئول رفيع في الأمم المتحدة في ذلك الوقت إلى إمكانية تحقيق إيران لهدفها المتمثل في امتلاك وتشغيل ٦ آلاف جهاز طرد مركزي وقد تجاهلت طهران قرارات الأمم المتحدة التي دعتها لإيقاف أنشطة تخصيب اليورانيوم، مؤكدة أن برنامجها مخصص للأغراض السلمية فقط وفي تقرير منفصل بشأن سورية، قالت الوكالة الدولية إنه تم العثور على جزيئات يورانيوم من صنع بشري في مركز أبحاث في العاصمة السورية دمشق .

وفي تقريرها السري، الذي حصلت على نسخة منه، قالت الوكالة إن اليورانيوم الذي تم العثور عليه هو من نوع لم تتضمنه المواد النووية

التي كانت سورية قد أعلنت عنها سابقا .

وتحقق الوكالة الدولية في تقارير استخباراتية أمريكية تزعم أن سورية كانت قد فرغت تقريباً من بناء مفاعل نووي من تصميم كوري شمالي كان قادرا على إنتاج البلوتونيوم الذي يمكن استخدامه في تصنيع الأسلحة، وذلك قبل أن تقوم الطائرات الصهيونية بقصفه في عام ٢٠٠٧ ونقلت وكالة الأنباء الفرنسية عن مصدر لم تكشف عن هويته أن الوكالة الدولية لم تلاحظ تقدماً يُذكر في الملفين النوويين لكل من إيران وسورية وأضاف المصدر المقرب من الوكالة قائلا: هناك تقدم طفيف جداً بشأن إيران، والأمر نفسه بالنسبة لسورية.

منذ أن قامت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وتتعدد ملفات السياسة الخارجية الإيرانية بين قضايا إقليمية ودولية وعلاقات خارجية مع دول الجوار أو القوى الدولية، ورغم ذلك إلا أن القضية النووية والعلاقات مع الغرب خاصة الولايات المتحدة ما تزال من أهم قضايا السياسة الخارجية لإيران وتسعى القيادة الإيرانية دائمًا إلى وضع خطوط حمراء وثوابت جامدة حول هذه القضايا وذلك بزعم أن قضايا مثل الملف النووي وعدم إقامة علاقات مع الولايات المتحدة إنما تمثل مطلبًا لا يمكن التنازل عنه ليس للقيادة الإيرانية وإنما للشعب الإيراني.

فى الصراع أو المواجهة مع إسرائيل - عبر لبنان وفلسطين -يبدو الموقف الإيرانى مختلفا ، إذ تعلن إيران صراحة عن دعم حزب الله فى

لبنان وفصائل المقاومة فى فلسطين على نحو لا يقبل الغموض ولا اللبس إلى درجة الدعم العسكرى والمالى لا السياسى فقط وفى محاولة فهم الاستراتيجية الإيرانية تلك وأسباب اختلافها عن مثيلتها بشأن العراق وأفغانستان، فإننا أمام قضية تحقق قدراً واسعاً من الشعبية فى العالم العربى، خاصة فى ظل تراجع النظم والحكومات العربية عن الاهتمام والدعم لقضية المقاومة، وهو وضع يمثل أساسا لإفشال محاولات تعبئة الرأى العام نحو موقف مضاد لإيران فى المنطقة، كما هو يضعف الانتقادات الموجهة لإيران بسبب دورها فى العراق وأفغانستان وهناك رؤية بأن إيران ترى أن هذا الدعم لفصائل المقاومة يحقق لها دورا ووجودا ووضعا هجوميا سواء فى العالم العربى وفى داخله أو فى المواجهة الجارية مع الغرب،وهى رؤية تصل حد القول بأننا أمام استراتيجية إيرانية هجومية فى اتجاهين احدهما فى اتجاه اختراق الامن القومى العربى ارتباطا مع استمرار احتلال الجزر الاماراتية والتهديدات المتقطعة باحتلال البحرين، والتحول إلى دولة قائدة فى القضية المركزية للعالم العربى - أى فلسطين- وفق رؤية التحول إلى دولة قائدة فى أهم مفاصل الصراعات الجارية فى المنطقة،والاتجاه الثانى هو إتجاه هجومى نحو الغرب، عن طريق الضغط المكثف على أهم قاعدة غربية فى المنطقة وحصارها ودفع الغرب إلى التفاوض حول الدور الإيرانى فى الإقليم والمهم ، هو أننا أمام استراتيجية ايرانية عامة تنتظم فيها

استراتيجيات متعددة فى مناطق ذات ظروف وصراعات متنوعة، ووفق أهداف محددة تصب فى المصلحة الاستراتيجية لإيران، وهو ما يشير إلى وجود عقول مخططة على مستوى من الكفاءة غير مسبوق انتظامها فى هيكل قيادى للتخطيط والإدارة الاستراتيجية للأزمات، إذ ذلك هو ما مكن من إدارة كل هذه الملفات- وغيرها- من أجل تحقيق أهداف إيران العليا ولذلك يبدو مهما الإشارة إلى تصريح ناعم وخطير فى الآن ذاته أطلقه الرئيس الإيرانى مؤخرا إذ قال إن إيران مستعدة للمساهمة فى حل مشكلات العالم

الإستراتيجية الإسرائيلية تجاه النووي الإيراني

الواضح عبر متابعة الإستراتيجيات والتقديرات والتصريحات والتطورات الأمنية العسكرية، أن المؤسسة الإسرائيلية لا تنام بخصوص مسألة النووي الإيراني، وهذه المسألة ليست إعلامية أو ملهاة،وإنما في منتهى الجد الإسرائيلى، حيث أنهم في إسرائيل يعتقدون أن إيران تكن عداء حقيقيا إستراتيجيا للوجود الإسرائيلى ناهيكم عن أن الإستراتيجيات الإسرائيلية منذ البدايات لا تسمح من وجهة نظرهم لأي دولة إقليمية بالتعاظم أو بناء قدرات إستراتيجية يمكن أن تشكل تهديدا لهم ونظريات ابن جوريون وبيجن وديان في هذه المضامين الأمنية

الإستراتيجية، وكما في كل عام -منذ انعقاده الأول في ٢٠٠٠- يلقي مؤتمر هرتزليا للأمن والمناعة القومية، الضوء على الرؤية الأمنية الإسرائيلية، ويعكس إلى حد ما توجهات دائرة صنع القرار على الصعيد الأمني والسياسي الذي يعتبر الأمن مركبا هاما فيه، لذلك تعتبر التصريحات والرؤى الصادرة عنه بمثابة نظريات إستراتيجية تعتمدها وتتبناها المؤسسة الأمنية والحكومة الإسرائيلية، وقد عكف المؤتمر في دوراته الأخيرة على التركيز على النووي الإيراني بوصفه التهديد الأول لوجود إسرائيل وفي هذا المعنى كان رئيس جهاز المخابرات (الموساد) مئير دجان أعلن أن إيران سيكون بحوزتها قنبلة نووية عام ٢٠١٤ واعتبر ذلك تهديداً يجب إبعاده (١) وبينما يشير الخبير العسكري إيتان هابر في يديعوت أحرونوت(٢) إلى أن القنبلة الإيرانية ووجود دولة إسرائيل أهم البنود على جدول الأعمال، ويعلن الجنرال أفرايم سنيه في هآرتس أنه ليس بإمكان إسرائيل أن تقبل بوجود سلاح نووي تحت سيطرة نظام يلتزم أيديولوجيا بإبادتها يأتي الجنرال بنيامين بن أليعازر

ليطلق تهديداً بالإبادة قائلاً: إذا تعرضت إسرائيل لهجوم سنزيل إيران عن الخارطة٠ .

---

١)عن صحيفة معاريف ٢) صحيفة يديعوت أحرونوت بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٧

وفي البعد النووي والتهديدات الإستراتيجية لوجود ومستقبل إسرائيل تستحضر دائما الأدبيات الإسرائيلية، فكان الجنرال موشيه ديان أكثر من تحدث في نظريات الأمن الإستراتيجي ودرج على القول: إن هناك حدوداً لعدد الدبابات التي تستطيع إسرائيل استيعابها، وبالتالي يجب على إسرائيل أن تتبنى إستراتيجية تقوم على أساس الردع النووي المشترك مع مبدأ استخدام القوة العسكرية التقليدية وهذا ينسجم مع الخط الذي أكده مناحيم بيجين رئيس وزراء إسرائيل سابقاً إن إسرائيل يجب أن تبقى مالكة مفتاح التفوق العسكري، وخاصة التفوق النووي عن طريق منع أي دولة في الشرق الأوسط من امتلاك أو تطوير السلاح النووي وقال عقب تدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١ نحن لن نقبل بأي شكل من الأشكال أو شرط من الشروط أن يقوم عدونا بتطوير سلاح دمار شامل ضد شعبنا أما بن جوريون أول رئيس لوزرائهم فقوله المشهور في هذا الصدد إن الكيان الإسرائيلي يوجد ويعيش في حالة خطر دائم، ولذلك لا بد من إفراز الحلول اللازمة والضرورية للحفاظ على وجود ذلك الكيان وحمايته واستمراره في وجه الأخطار المحدقة به لذلك فقد ربط قادة إسرائيل خيار الردع النووي بالأمن الإسرائيلي الشامل، وإستراتيجية السيطرة على الشرق الأوسط وتفكيك الملفات العربية.

فمنذ البداية كان بن جوريون قد أشار في تقرير قدمه أمام المجلس العالمي لعمال صهيون عام ١٩٣٧ إلى الأهداف الإستراتيجية الصهيونية بعيدة المدى في المنطقة حيث قال إن الدولة اليهودية المعروضة علينا بالحدود الحالية على يد اللجنة الملكية البريطانية آنذاك لا يمكن أبداً أن تكون الحل المنشود لمسألة اليهود، ولا هدف الصهيونية الذي سعت إليه طويلاً، حتى لو أجريت على هذه الحدود بعض التعديلات الممكنة واللازمة لصالحنا إلا أنه يمكن قبولها بوصفها المرحلة الأولى والأساسية التي تنطلق منها تتمة مراحل تحقيق الوطن الصهيوني الأكبر، وذلك عن طريق بناء قوة يهودية جبارة فيها، وبأقصر وقت ممكن، ثم احتلال باقي مناطق مطامحنا التاريخية كلها(١)والبروفيسور الإسرائيلي المناهض للصهيونية إسرائيل شاحاك كان خير من شرح الإستراتيجية الصهيونية(٢) حيث قال إن الهدف الرئيسي للسياسة الإسرائيلية هو السيطرة الإقليمية على الشرق الأوسط بأكمله والمخطط الإسرائيلي هو تحييد الفلسطينيين والسيطرة التامة عليهم، حتى تتفرغ إسرائيل لتحقيق أهدافها الحقيقية، والسيطرة على الشرق الأوسط أكثر أهمية في التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي ومن أهم وسائل إسرائيل في

---

١) عن كتاب الصهيونية فكراً وعملاً ص٨١.

٢)في كتابه إسرائيل إستراتيجية توسعية مغلفة بالسلام

تنفيذ مخططاتها هو النفوذ الإسرائيلي على السياسات الأمريكية وعن الأسلحة الإستراتيجية أضاف شاحاك إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لأي دولة في الشرق الأوسط بتطوير إمكانيات نووية، وتعطي لنفسها الحق في استخدام ما تراه مناسباً من وسائل لمنع مثل هذا الاحتمال حتى تظل في وضع احتكار السلاح النووي وامتلاك الرادع النووي دون منازع وجاء في قراءة ما بين سطور الإستراتيجية التي كان أعدها باراك في حينه أن إستراتيجية إسرائيل لعام ٢٠٢٠ ترفض الاندماج بالمحيط وتعتمد التفوق التكنولوجي لذلك،وعلى طريق تحقيق الأجندة الإستراتيجية الإسرائيلية في السيطرة على الشرق الأوسط، وزعت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية المنطقة إلى دوائر أطلقت عليها دوائر التهديد الإستراتيجي لإسرائيل لتسهيل مهمة تفكيكها والسيطرة عليها، وهي:

- الدائرة الفلسطينية التي تعمل إسرائيل على تفكيكها أولا.
- الدائرة العربية المحيطة بالدولة الإسرائيلية.
- دائرة الدول الأبعد قليلاً مثل إيران والعراق وليبيا وباكستان... إلخ.
- الدائرة الدولية بكافة امتداداتها وتأثيراتها على معادلات وموازين القوى في المنطقة(١) وفي إطار التعامل الإسرائيلي مع دوائر التهديد أخذت المؤسسة الإسرائيلية تركز بعد أن فككت أهم الملفات العربية

الكبرى، وحيدت معظم التهديدات الفلسطينية والعربية المحتملة في الدائرتين الأولى والثانية في السنوات الأخيرة إلى حد كبير على الدائرة الثالثة والتهديدات القادمة من جهة العراق وقد تم تفكيك وتحييد هذا التهديد وكذلك التهديد القادم من جهة إيران التي تصر على تطوير تكنولوجيتها النووية التي تثير الرعب في قلوب إسرائيل إلى جانب التهديد الآتي من جهة حزب الله في الجبهة الشمالية القريبة الذي تعتبره إسرائيل الذراع الإستراتيجية الطويلة لإيران ووفق التطورات والأدبيات السياسية الإسرائيلية المتراكمة في السنوات الأخيرة، فقد أخذت إيران تحتل قمة الأجندة الحربية الإسرائيلية،وبات النووي الإيراني في دائرة الاستهداف الإسرائيلي، وكما حدث مع العراق نتابع ذات السيناريو التمهيدي تجاه النووي الإيراني، والأدبيات الإسرائيلية في ذلك لا حصر لها: فها هو نتنياهو يعلن أمام مؤتمر سابان لن يحل السلام قبل مواجهة ثلاثة تهديدات لإسرائيل وهي: الأول سعي إيران للحصول على سلاح نووي، والثاني صواريخ حزب الله في لبنان وحماس في غزة التي تهدد إسرائيل، والثالث تحصين الأمن الإسرائيلي (١) ولذلك فإن الأجندة وراء

---

١) عن دراسه حول البعد الإستراتيجي للصراع العربي-الإسرائيلي -د.هيثم الكيلاني التي عرضها في مؤسسة شومان في إطار ندوة صراع القرن خلال أيام ١٩-٢١ /١٩٩٨/٥).

ذلك تغدو صريحة، وهي أن إسرائيل مقبلة على المزيد من الحروب الإسرائيلية على مختلف الجبهات وقد ربط نتنياهو مؤخراً ربطاً خطيراً بين المحرقة اليهودية وإيران، حيث قال عشية سفره إلى أوشفيتس: يوجد شر في العالم، يجب القضاء على هذا الشر وهو في بدايته(٢)، هناك محافل تحاول نكران هذه الحقيقة .

وحذر رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية عاموس يدلين قائلا الساعة التكنولوجية الإيرانية لتخصيب اليورانيوم وتقدم البرنامج النووي تواصل الدق بوتيرة عدد الكيلوجرامات في اليوم(٣) ،وانضم باراك إليه مطالباً الولايات المتحدة بأن تتجهز لعملية عسكرية ضد إيران محذراً من أن تطوير إيران لأسلحة نووية يشكل خطراً على إسرائيل أما أفيجدور ليبرمان فأعلن أن إيران النووية هي بمثابة هتلر مع سلاح نووي يهدد وجود إسرائيل أما الوزير يوسي بيليد فقد أضفى بعداً تاريخياً إلهياً على تهديداته فقال: إن إسرائيل عليها مسئولية وجودها الفيزيائي أولاً،

---

١)قناة الجزيرة ٢٠٠٩/١١/١٦ ٢) عن صحيفة هآرتس ٢٠١٠/١/٢٨.

٣)عن صحيفة إسرائيل اليوم الأربعاء ٢٠ /٢٠١٠/١

وطبقا لهذا المبدأ علينا أن نتخذ القرارات إن التاريخ منحنا هدية وحيدة لمرة واحدة، وهي دولة إسرائيل، وواجبنا الأعلى هو حمايتها والدفاع عنها مبيناً أنه إذا ضيعنا هذه الهدية فلن نحصل على فرصة أخرى وإن مشروع الذرة الإيراني يجب أن يزعجنا ويقلقنا بالنظر لوجودنا فنحن إذن أمام مشهد طافح بتهديدات الإبادة بين إسرائيل وإيران التي يجمع قادتها أيضا على حتمية زوال إسرائيل لا يمكن أن يكون إعلاميا، أو زلة لسان من هنا أو هناك، فالتصعيد ممنهج مبيت.

ولعل الأسئلة العاجلة دائما على أجندة الصراع الإسرائيلي الإيراني تتكثف في بعد الإبادة، الذي يطلقون عليه في إسرائيل خيار شمشون فهل تسير الأوضاع فعلا نحو خيار شمشون؟ كان الرئيس الأميركي السابق جورج بوش الذي تبنى الأجندة الأمنية والسياسية الإسرائيلية على مدى سنوات ولايتيه، قد هدد وحذر من حرب عالمية ثالثة إذا حصلت إيران على السلاح النووي واليوم إدارة أوباما تهدد وتحذر على مدار الساعة وتعجل خطاها في نشر أنظمة دفاع صاروخية في منطقة الخليج تحسبا لأي هجوم إيراني والإجماع الأوروبي إلى حد كبير مع وقف تطوير النووي الإيراني بكافة السبل ومع الأولوية للمفاوضات والعقوبات ولكن مع عدم إسقاط الخيار العسكري.

المحلل المناهض للسياسات الإسرائيلية جدعون ليفي كتب في هآرتس فقال كما تبدو عليه الأمور الآن إسرائيل تخطط لمستقبلها على هذا النحو(١)، في كل مرة تحاول فيها دول شرق أوسطية التزود بسلاح نووي تقوم إسرائيل بقصفها، فالغرور الإسرائيلي الجنوني وصل الآن إلى مرحلة خطيرة في تاريخها ويضيف المحلل الإستراتيجي إيتان هابر في يديعوت أحرونوت قائلا يبلغ الصلف الإسرائيلي في هذه الأيام أوجه، كلما اقترب إتمام المنشأة الذرية في إيران، سنهاجم وحدنا وسنعطبها، سنضربهم بقوة وسنريهم ليلحق باراك مهددا أيضا سوف ننتقل من الأقوال إلى الأفعال وثقافة الإبادة تصل ذروتها في استطلاع كندي للرأي العام الإسرائيلي أجراه بشكل مشترك كل من مؤسسة سيمونز، وأنجوس ريد جاء فيه أن نحو ٧٢% من الإسرائيليين يؤيدون استخدام الأسلحة النووية في ظروف خاصة وفي هذا البعد جاء في الأدبيات الدينية اليهودية ولاحقا في الأدبيات السياسية الصهيونية ما أطلق عليه خيار شمشون، في إشارة صريحة إلى تبني الكيان الصهيوني لهذا الخيار المستند إلى (علي وعلى أعدائي) في حال تعرضت تلك الدولة إلى أي تهديد لوجودها من قبل المحيط العربي فمنذ الخمسينات قرر بن

---

١)الجزيرة ٢٠١٠/٠١/٣١

جوريون أنه يتحتم على إسرائيل امتلاك سلاح قاس لا مثيل له في قوة تدميره، لمواجهة احتمالات قاسية.

الإستراتيجية الأمريكية تجاه إيران النووية

بدأت الولايات المتحدة منذ فترة بالتمهيد العسكري والمخابراتي تحسباً لصراع مسلح ينشب بينها وبين إيران، لا يستهدف فقط تدمير البنية الأساسية النووية والصاروخية لإيران، ولكن الإطاحة بالنظام الإيراني باعتبار ذلك هدفا سياسيا للحرب القادمة وهذا الأمر فى حد ذاته دفع إيران للدخول أيضا فى لعبة العمليات العسكرية الاستباقية مع الولايات المتحدة. وهى لعبة تنذر بالانفجار العلني بين لحظة وأخرى؛ مما يجعل السيناريو العسكرى هو الأكثر ترجيحا لحسم الخلاف الدائر بين البلدين، بل إن ما يحدث فى العراق يدل على أن إيران بدأت العمليات الانتقامية الاستباقية فعلا انطلاقا من الأراضى العراقية. برز ذلك بوضوح فى الحملة المفاجئة التى شنتها طهران مطالبة بانسحاب القوات البريطانية من البصرة وجنوب العراق، تحسبا من مشاركة بريطانيا للولايات المتحدة فى حرب ضد إيران تنطلق من جنوب العراق.

وتشير المعلومات إلى أن الطائرة الفالكون المدنية التى كانت تقل مجموعة من رجال الأعمال قادمين من أذربيجان إلى كردستان، وسقطت على بعد ٣٠ كم من السليمانية ومقتل جميع ركابها، كان بفعل صاروخ

أرض-جو إيراني،رداً على حادث سقوط طائرتين إيرانيتين تابعتين للحرس الثوري، خصوصا حادثة تحطم الطائرة الفالكون فى منطقة أرومية فى فبراير ٢٠٠٦م وكان على متنها تسعة من كبار قادة الحرس الثورى هذا إلى جانب حادث_تعرض الرئيس الإيرانى أحمدي نجاد فى ديسمبر ٢٠٠٥م لمحاولة اغتيال فى بلوشستان، كما كاد يتعرض لمحاولة اغتيال أخرى فى إقليم خوزستان المضطرب مما أدى إلى إلغاء زيارته لهذا الإقليم .

وقد أشارت تقارير أجهزة المخابرات والأمن الإيرانية إلى أن هذه الحوادث تأتى فى إطار مخطط أمريكى بريطانى إسرائيلى لتنفيذ عمليات سرية داخل إيران، تشتمل على اغتيالات وتخريب بفعل وحدات كوماندوز سرية تنشط داخل المدن وعملاء مجندين من المعارضة الإيرانية فى صفوف مجاهدي خلق تم تدريبهم بواسطة الأمريكيين فى معسكر فى العراق،وأن هذه العمليات تستهدف فى النهاية الإطاحة بنظام الحكم فى إيران، وتخريب برامج إيران النووية والصاروخية واغتيال كبار المسئولين السياسيين والعسكريين إلى جانب العلماء والخبراء، وأن مجموعات مخابرات ومجموعات كوماندوز أمريكية وإسرائيلية قد نجحت فى التسلل إلى إيران لإحصاء وتأكيد عدد وأماكن الأهداف الاستراتيجية،لاسيما النووية والصاروخية، ورصد أماكن وجود وتحركات كبار المسئولين الإيرانيين والعلماء، ومن بينهم جنسيات

كورية شمالية وباكستانية وهندية وروسية ومن دول أوروبا_الشرقية وتشير تقارير المخابرات الإيرانية إلى أن الاضطرابات التى وقعت فى بلوشستان والأهواز هى أيضا جزء من مخطط الحرب الاستباقية الأمريكية ضد إيران، إلى جانب معلومات تشير إلى أن هذا المخطط يشمل أيضا إدخال فيروسات إلى أنظمة الكمبيوتر الخاصة بالقيادات العسكرية، وفى أجهزة المنشآت النووية الرئيسية فى أصفهان وناتانز، وتعطيل قدرتها على العمل لفترات طويلة وقد أكدت هذه التقارير أن المخابرات الإسرائيلية تشارك بفاعلية فى هذه العمليات، ولذلك تعزز وجودها فى منطقة كردستان، التى شهدت وصول العشرات من عملاء الموساد، حيث وضع هذا الجهاز المخابراتى خبراته السابقة فى مجال تعقب واصطياد الخبراء_النوويين العراقيين الذين جرت تصفيتهم فى عواصم غربية فى_خدمة المخطط الأمريكى ضد إيران وتشير المعلومات إلى أن عدداً من ركاب الطائرة التى أسقطها الصاروخ الإيرانى قرب السليمانية كانوا من ذوي الجنسية الإسرائيلية،وهو ما دفع بدوره مخابرات الحرس الثورى إلى نشر عملائه فى كردستان ومناطق الحدود مع العراق، موازياً لنشر عملاء الموساد فى كردستان وداخل إيران؛ وتأليب عرب الأهواز.

كما أن خبراء البنتاجون والموساد اتفقوا على أن يكون مطارا السليمانية وأربيل فى إقليم كردستان العراق هما الأنسب لبدء انطلاق

الضربات الجوية ضد إيران، لأنهما الأقصر مسافة إلى الأهداف الإيرانية، ولذلك تم توسيع هاتين القاعدتين فى الأشهر الماضية ويرتبط بذلك الأمر الاشتباكات التى وقعت أخيرا بين القوات الإيرانية ومتمردى أكراد إيران على الحدود مع العراق، وطالت الأراضى العراقية، وأيضا الحشود التركية على الحدود العراقية والإيرانية لمطاردة عناصر حزب العمال الكردستانى التركى داخل إيران والعراق.

وفى إطار الهدف الاستراتيجي الأمريكى بمنع إيران من امتلاك سلاح نووي، حتى لو اضطرت الولايات المتحدة للجوء إلى الحرب لتحقيق هذا الهدف، فإن المخطط الأمريكى يشمل بجانب تدمير المنشآت النووية والأهداف العسكرية الرئيسية، اتخاذ إجراءات تكفل زعزعة نظام الحكممن الداخل، واحتلال أقسام حيوية فى الأقاليم الحدودية مع الدول المجاورة لإيران وبها وجود أمريكى، وذلك لفترة محددة تسمح بتكثيف الضغوط الشعبية على النظام الحاكم لحساب حكم صديق لأمريكا تكون كوادره السياسية والعسكرية مجهزة من قبل وقد نقلت كل من روسيا والصين إلى القيادة الإيرانية سيناريوهات مستقبلية متشائمة عن ضربة عسكرية متوقعة ونصحتا طهران بعدم الاعتماد على التورط الأمريكى فى العراق، أو على استياء الرأى العام الأمريكى من سياسة حكومته، أو عدم قدرة القوات الأمريكية على شن حرب ضد إيران بالنظر للانتشار الواسع عالميا للقوات الأمريكية، حيث كشفت استطلاعات الرأى أن

نسبة كبيرة من الأمريكيين تؤيد مثل هذه الضربة، ناهيك عن عدد كبير من أعضاء الكونجرس يدفعون فى اتجاهها.

وملخص السيناريو الذى قدمه الروس والصينيون أن تقوم المقاتلات الإسرائيلية (ف ١٥، ف ١٦) بتنفيذ هجمات أولية ضد أكثر من ستين هدفا، منها وحدات الصواريخ شهاب التى نشرها الإيرانيون فى مناطق عديدة ويغيرون مواقعها يوميا تحسبا لضربة مفاجئة. ويتوقع هذا السيناريو ألا تنجح الهجمات الجوية الإسرائيلية والأمريكية فى تدمير كل البرنامج النووى الإيرانى وجميع مواقع الصواريخ شهاب، حيث أخفت إيران معظم هذه الأهداف فى أنفاق تحت الأرض. لذلك يتوقع أن يقوم الحرس الثورى بتنفيذ عمليات ثأرية واستخدام ما تبقى من مواقع صواريخ فى قصف أهداف إسرائيلية وإغلاق مضيق هرمز وتدمير السفن الحربية وناقلات النفط إلى جانب القواعد العسكرية الأمريكية والبريطانية فى العراق.

وفى حالة استخدام الإيرانيين رؤوسا كيماوية أو بيولوجية لصواريخهم شهاب، فإن الرد الأمريكى المتوقع سيكون باستخدام قنابل نووية تكتيكية M61-11 لتدمير كل البنى العسكرية والصناعية الإيرانية وحرق أجزاء كبيرة من إيران تؤدى إلى عشرات آلاف القتلى وإذا ما تمادى الإيرانيون فى رد فعلهم الصاروخى والهجومى بالحرس الثورى فى مياه الخليج، فمن المتوقع أن تستمر غارات الحرب الجوية

والصاروخية بالقنابل الثقيلة طوال أسبوعين كما حدث فى يوغوسلافيا عام ١٩٩٩ليلاً ونهاراً بما يمهد للقوات الأمريكية والبريطانية لاحتلال إقليم_عربستان خوزستان المحاذي للعراق، حيث تنتشر الغالبية الكبرى من حقول ومصافي النفط الإيرانى التى تشكل عصب الاقتصاد الإيرانى يتزامن ذلك مع إطلاق حزب الله لعمليات كوماندوز ضد أهداف إسرائيلية فى شمال ووسط إسرائيل مصحوبة بقصف صاروخى، وذلك بدعم سورى التزاما بالتحالف القائم مع إيران، ونشاط واسع لمنظمة القاعدة ضد أهداف منتقاة فى الولايات المتحدة وأوروبا وقد ترد إسرائيل باجتياح جنوب لبنان وأجزاء من سوريا وصولا إلى دمشق ومع اعتماد الخطة الأمريكية البريطانية على عرب الأهواز المعارضين لنظام حكم الملالي فى مساندة الأمريكيين والبريطانيين عند غزوهم لإقليمهم، فإن التقارير تشير إلى بداية تحركات عسكرية للقوات الأمريكية فى الخليج، وقد لوحظ ذلك فى وصول أعداد إضافية من القطع البحرية الأمريكية، حيث انضمت مؤخراً إلى الأسطول الأمريكى حاملة الطائرات رونالد ريجان معززة بمجموعة من الفرقاطات والمدمرات المسلحة بصواريخ كروز (توما هوك)، وبذلك أصبح للولايات المتحدة حاملتان فى الخليج.

متى تضرب أمريكا إيران

هناك بعض الأسئلة التى يواجه تفسيرها بعض الصعوبة ومنها : لماذا لم تضرب إيران خلال ربع قرن رغم كل التهديدات من قبل أمريكا وإسرائيل ؟ ولماذا سمح لإيران ببناء مشروعها النووي،المؤلف من عدة مفاعلات نووية،حتى وصل مرحلة الاكتمال، في حين انه كان للعراق مفاعلا واحدا في طوره الابتدائي وضرب ودمر؟ ولماذا أشركت أمريكا إيران في غزو وتدمير العراق وسلمتها حكومة العراق في ظل الاحتلال وسمحت لإيران بنزوح حوالي أربعة ملايين إيراني(فارسي وكردي غير عراقي) للعراق ومنح أكثر من مليونين ونصف المليون منهم الجنسية العراقية رسميا كما اعترف إبراهيم الجعفري حينما كان رئيساً لوزراء حكومة الاحتلال، ولماذا سمحت لإيران بالقيام بنهب العرق وتدمير قدراته العلمية والتكنولوجية ؟ولماذا لم تتدخل أمريكا عند قيام إيران بذبح مئات العلماء والضباط العراقيين ؟ ولماذا زورت أمريكا الانتخابات مرتين والاستفتاء مرة في العراق لأجل إحكام قبضة أتباع إيران على الحكم في العراق ؟ ولماذا جاءت أمريكا بفكرة دعائية كاذبة تلقفتها إيران بسرور غامر وهي فكرة أن الشيعة كانوا مضطهدين رغم أنهم الأغلبية ؟ وما حقيقة ما سمي بسياسة الاحتواء المزدوج التي عدت العراق وإيران خصمان يجب احتواءهما ، وسياسة محور الشر التي

شملت العراق وإيران وكوريا الشمالية ؟

لا تهدأ حرب التهديدات الكلامية بين الولايات المتحدة وإيران، إلا لتعود وتندلع من جديد فمنذ ثلاث سنوات حتى الآن والخطط عن حرب محتملة ضد إيران تكاد لا تخرج من دائرة الإستهلاك الإخبارى الغربي وخلال هذه السنوات تمكنت إيران، من مضاعفة عدد أجهزة تخصيب اليورانيوم الى نحو خمسة آلاف جهاز، تنتشر فى مختلف أرجاء البلادو التكيف مع دغدغة الإجراءات العقابية الهزلية التى فرضها مجلس الأمن الدولي والخروج من نحو عشر جولات للمفاوضات من دون تقديم تنازل فعليو الفوز بحزمة إغراءات وحوافز، كل مرة أفضل وأوسع من الحزمة التى سبقتها والنجاح فى تطوير ونشر جيلين من الصواريخ المتوسطة والبعيدة المدى والظهور بمظهر قوة مسلحة فعالة فى مياه الخليج، قادرة، فى الأقل، على كسب سباق التهديد وتحولها إلى حزب حاكم فى بغداد، برعاية الدبابات الأمريكية بالذات، وهى التى تولت توفير الحماية للرئيس الإيرانى عندما زار بغداد لمباركة نجاحات حرسه الثورى وأجهزة مخابراته وهذه تستبطن، بدورها، كل أجهزة السلطة والمليشيات هناك اليوم وتحول الاحتلال نفسه إلى مشروع شيعى يلطم جنوده،مع جنود المليشيات،على الحسين،ويوفر الدعم والمساندة والنهب والتزوير للتيار الصفوى فى الزفة الطائفية .فى غمرة التهديدات الفارغة، وينسى المنغمرون أن تحالف الغرب انتظر ١٢ عاما لكى يُهلك

العراق تحت أقسى حصار عرفه التاريخ الإنساني، قبل أن يخطو خطوة واحدة لغزوه واحتلاله.

فى عام ١٩٩١، كان التحالف قد حشد ما لا يقل عن ٣٥٠ ألف جندي، لم تنهكهم أى معارك على امتداد نصف قرن تقريبا، قبل أن يشرعوا بتوجيه ضربات عسكرية لبلد لا يتجاوز، مساحة وعددَ سكان، ثلث ما تشكله إيران وعاد ليحشد تحالفا أكبر قبل أن يشرع بالغزو عام ٢٠٠٣ وعلى الرغم من أن الحشد العسكرى الراهن، فى مياه الخليج، لا يعدو كونه بقعة زيت فى مستنقع، قياسا بما كان عليه الحال قبل غزو العراق، إلا أن طبول التهديدات ما تزال تقرع والعمائم فى طهران لا تكف عن الظهور بمظهر العدو المستعد لضرب إسرائيل، وهنري كيسنجر يقول إن طبول الحرب تدق ومن لا يسمعها فهو مصاب بالصمم فقد أدلى ثعلب السياسة الأميركية العجوز هنري كيسنجر، مستشار الأمن الأميركي ووزير الخارجية السابق في عهد ريتشارد نيكسون بحديث صحفي لصحيفة ديلي سكيب اليومية المحلية في نيويورك، كشف فيه عن مفاجآت من العيار الثقيل حول ما يجري في الشرق الأوسط وفي العالم كله حالياً قال إن ما يجري حاليا هو تمهيد للحرب العالمية الثالثة التي سيكون طرفاها هما روسيا والصين من جهة والولايات المتحدة من جهة أخرى وتوقع كيسنجر أن تكون

تلك الحرب شديدة القسوة، بحيث لا يخرج منها سوى منتصر واحد هو الولايات المتحدة من وجهة نظره وقال كيسنجر إن واشنطن تركت الصين تعزز من قدراتها العسكرية وتركت روسيا تتعافى من الإرث السوفييتي السابق، مما أعاد الهيبة لهاتين القوتين، لكن هذه الهيبة هي التي ستكون السبب في سرعة زوال كل منهما ومعهما إيران التي يعتبر سقوطها هدفا أول لإسرائيل وأضاف أن إدراك الاتحاد الأوروبي لحقيقة المواجهة العسكرية المحتومة بين أميركا وكل من روسيا والصين المتباهيتين بقوتهما، دفعه للمسارعة بالتوحد في كيان واحد متماسك قوي وأفاد أن الدوائر السياسية والإستراتيجية الأميركية طلبت من العسكريين احتلال سبع دول شرق أوسطية من أجل استغلال مواردها الطبيعية خصوصا النفط والغاز، مؤكدا أن السيطرة على البترول هي الطريق للسيطرة على الدول، أما السيطرة على الغذاء فهي السبيل للسيطرة على الشعوب وأكد الثعلب اليهودي العجوز، أن العسكريين الأميركيين حققوا هذا الهدف تقريباً أوهم في سبيلهم إلى تحقيقه استجابة لطلباتنا وبقي حجر واحد علينا إسقاطه من أجل إحداث التوازن، وهو المتمثل في إيران وأنه يدرك أن كلا من الدب الروسي والتنين الصيني لن يقفا موقف المتفرج ونحن نمهد الطريق لقوتنا، خصوصا بعد أن تشن

إسرائيل حربا جديدة بكل ما أوتيت من قوة لقتل أكبر قدر من العرب وهنا سيستيقظ الدب الروسي والتنين الصيني، وقتها سيكون نصف الشرق الأوسط على الأقل قد أصبح إسرائيليا،وستصبح المهمة ملقاة على عاتق جنودنا،وأقصد هنا الأميركيين والغربيين بصفة عامة، المدربين جيدا والمستعدين في أي وقت لدخول حرب عالمية ثالثة يواجهون فيها الروس والصينيين ومن ركام الحرب، سيتم بناء قوة عظمى وحيدة قوية صلبة منتصرة هي الحكومة العالمية التي تسيطر على العالم ولا تنسوا أن الولايات المتحدة تملك أكبر ترسانة سلاح في العالم، لا يعرف عنها الآخرون شيئا، وسوف نقوم بعرضها أمام العالم في الوقت المناسب فإن طبول الحرب تدق ومن لا يسمعها فهو مصاب بالصمم وإذا ما تعرضت إيران للهجوم بينما لا تكف الرؤوس المحشوة بالقاذورات فى واشنطن عن بيع خدعة أن الولايات المتحدة مستعدة وقادرة بل وتزمع توجيه ضربة عسكرية لإيران أحد أوجه ذلك الهدف يذهب إلى تجريد دول النفط فى المنطقة مما جنته من مكتسبات وعوائد نجمت عن ارتفاع أسعار النفط، بزعم أن هناك مخاطر، وأن هناك حاجة لتوفير الحماية لهذه الدول من تلك المخاطر والوجه الآخر،هو تصعيد المخاوف من الحرب، إنما لبيع التسويات وترطيب الحلول،وتقديمها كما لو أنها منجزات ومعجزات

إيران التى أعلنت مرارا، أن مشروعها النووى لا يستهدف التحول إلى مشروع عسكري، تستطيع فى آخر المطاف توفير ضمانات للبرهنة على صحة ما تقول، دون أن تضطر إلى وقف أعمال التخصيب يكفى إخضاعها لرقابة دولية صارمة، حتى تكون الفقاعة كلها قد انتهت

ومثلما تحرص الولايات المتحدة على الخروج مما أصبح مستنقعا فى العراق، ولو بنصف جائزة، فلعلها تدرك،أن إيران التى وفرت الدعم والمساندة لنجاح الغزو، تستحق نصف جائزة أيضا.

ولهذه القسمة، مهرجون جاهزون، ينامون فى الفراشين معا ويوفرون كل مقومات المتعة لعمائم طهران ولشيطانها الأكبر وهناك اليوم وطنيات زائفة، لمأجورين كانوا للتو، تحت لحاف الاحتلال، ليبدو أنهم لم يعودوا بحاجة إليه، فيطالبون بتحديد جدول زمنى للانسحاب ليس لأن إيران تعهدت بحمايتهم وثلاثة أرباع نهبهم فى بنوك غربية بل لأن إيران والولايات المتحدة تقاسمتا الجائزة(١)، مما يضمن الفوز والنهب للطرفين معا وهكذا، فان طهران وواشنطن ستعملان بموجب هذه القسمة على تحويل العراق إلى غنيمة مشتركة، نصف حقول

---

١) انظر مقال ناعومى كلاين، الجارديان ٢٠٠٨/٧/٤

نفطها يذهب لتمويل المشروع الطائفى وأحزابه ومليشياته، بينما يذهب النصف الآخر على هيئة حصص أغلبية تذهب لصالح الشركات الأمريكية وبطانتها وببجاحة يقول المسئولون الأمريكيون، نريد الانسحاب، وسننسحب، إلا إن هذا القرار سيعتمد على الظروف الميدانية حسب المتحدث باسم الخارجية الأمريكية جونزالو جاليجوس وفى الوسط، لا تفعل عمائم طهران سوى التهديد بضرب إسرائيل، بينما يُغلق حزبها فى لبنان ملف الأسرى مع إسرائيل تمهيدا لتعليق أسلحته على شماعة الزيف وبدلا من إزالة إسرائيل من الوجود قريبا كما وعد حسن نصر الله، على أعتاب قبر عماد مغنية، فان مقاومته هى التى ستزول من الوجود على أعتاب عودة سمير القنطار وقال إن الذين واجهوا متظاهرين غير مسلحين بالرصاص والاعتقالات يجب أن يدانوا وكان مسئولون إيرانيون قد وصفوا انتقادات كهذه بأنها تدخل بالشأن الإيراني إن التهديد الذي يواجه إسرائيل-والكلام لموفاز- هو الخطر الإيراني الذي يتحتم على إسرائيل مواجهته دون أن تكون رأس الحربة في هذا الصراع وإنما الولايات المتحدة وتصريحات موفاز هذه لم تأت من فراغ وإنما بنيت على مخاوف إسرائيلية من برنامج التسلح الإيراني وبرامج التصنيع الكيماوي والبيولوجي، وهو ما جعل مائير داجان رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلية يقول أمام لجنة الدفاع في الكنيست أنه بحلول نهاية عام ٢٠٠٥م سيصل الإيرانيون إلى نقطة اللاعودة من الناحية

التكنولوجية لامتلاك قدرة على تخصيب اليورانيوم وإنتاج أسلحة نووية بسهولة بعد ذلك والتخوف الإسرائيلي كان له ما يقابله عند الجانب الأمريكي عندما ذهب ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي إلى أبعد من ذلك وقال: إذا أصبح الإسرائيليون مقتنعين بأن إيران لديها قدرات نووية ملموسة نظراً لأن إيران تتبع سياسة معلنة تفيد أن هدفها تدمير إسرائيل فقد يقرر الإسرائيليون التحرك أولاِ ثم يتركوا لبقية العالم تسوية المشاكل الدبلوماسية بعد ذلك ورداً على دعوة ديك تشيني المبطنة لإسرائيل لتبدأ هي الحرب أو حتى الضربة الأولى قال شيمون بيريز نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي فيما يشبه التحريض لأمريكا لتقوم هي بالضربة الأولى وتبني خيار الحرب يجب أن يعبأ العالم ضد الخيار النووي الإيراني، فإيران أصبحت مركز جميع الأخطار في الشرق الأوسط وهذا الأمر يعني كل الأسرة الدولية لا إسرائيل وحدها، والأمريكيون أنفسهم يقولون بأنهم يفضلون سلوك الطرق الدبلوماسية والضغوط الاقتصادية وهم لا يستبعدون الخيار العسكري، إلاَّ أن القرار يعود إليهم وليس إلينا فيما يشبه الوليمة كل من إسرائيل وأمريكا تحاولان ضيافة بعضهما البعض على المائدة الإيرانية والمتابع الجيد يستنتج أن السيناريو يتكرر،الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع التسعينات تتهم العراق بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وتهدد وتتوعد بنقل الصراع إلى مجلس الأمن وأروقة الأمم المتحدة وإن لم ينفع فالخيار العسكري هو الحل كل

هذا بتحريض وتحريك إسرائيلي واسع النطاق لما كان يمثله النظام العراقي-في نظر إسرائيل- من تهديد لها ولأمنها ولوجودها في المنطقة، واليوم السيناريو يتكرر ولكن هذه المرة مع إيران.

ولن نذهب بعيداً لتأكيد هذا الكلام فالجنرال الأمريكي انطوني زيني قائد هيئة أركان الجيوش الأمريكية-سابقاً- قال الحرب على العراق جرى شنها بتحريض إسرائيلي ولخدمة مصالح إسرائيل وليس المصالح الأمريكية وذكرت مجلة نيويورك عبر مراسلها العسكري سيمور هرش أن قوات أمريكية خاصة تعمل داخل إيران منذ الصيف الماضي لتحديد مواقع يمكن أن تستهدف بضربات جوية، هذه المعلومات استندت عليها الكثير من التقديرات والتحليلات، لكن إذا كانت هناك ضربة أمريكية أو إسرائيلية قادمة ضد إيران فمن سيبدأها؟

رغم أن المؤشرات تفيد أن أمريكا وإسرائيل تسعيان لتوجيه ضربة سريعة وموجعة تشل حركة إيران وتمنعها من اتخاذ أي رد عسكري إلا أن كلاً من إسرائيل أو أمريكا ليسا بهذه الدرجة من الغباء لتقدمان على أي عمل أحمق ضد إيران، فالولايات المتحدة الأمريكية لا تريد أن تفتح أمامها وخلفها وعن جوانبها أبواب نار جهنم خاصة أنها تعرف تمام المعرفة أن إيران اليوم ليست كالعراق من ناحية التسلح أو حتى القوة العسكرية والبشرية والمادية، كما أن أي ضربة لإيران ستجعل منها

أسداً جريحاً يتحرك في كل مكان وفي كل اتجاه ، وهذا ما لا ترغب فيه الإدارة الأمريكية التي تملك أكبر شبكة مصالح علي أراضي الدول المجاورة لإيران والتي ستكون أهدافاً سهلة أمام الأسد الإيراني الجريح، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا أظن أن الولايات المتحدة التي تحاول ما استطاعت حماية إسرائيل-حتى من نسمة الهواء العربي- لا أظنها ترغب في الإضرار بإسرائيل وهي تعلم أن أول صاروخ يصل إيران سيتبعه في الوقت نفسه عشرة صواريخ إيرانية تستقر في عمق تل أبيب، وهذا ما تفكر فيه إسرائيل حالياً ويؤخر أي عمل استباقي تقوم به ضد طهران كالذي أقدمت عليه ضد بغداد عندما ضربت مفاعل تموز العراقي فى مطلع الثمانينات لأنها تعلم أنه لا الوقت ولا الظروف ولا الخيار يسمح بذلك والموضوع حتى الآن لا يخرج عن كونه تصريحات أو تكهنات إعلامية خاصة أن إسرائيل دأبت منذ(١) فترة ليست بالقريبة على تسريب أخبار إعلامية نقلتها صحفها وبعض الصحف العربية والعالمية تقول في مجملها أن خطر إيران على المنطقة لن يوقفه إلاَّ ضربة عسكرية قوية تقضي على هذا الخطر وتقضي معه على أكبر دولة إسلامية قوية في المنطقة.

---

١) عن مقال لمحمد علي الشهاري - بتصرف

لماذا تخاف أمريكا من ضرب إيران؟

يرى عدد، غير قليل، من المراقبين أن الولايات المتحدة تخشى توجيه ضربات عسكرية للمواقع النووية الإيرانية بسبب ما قد يسفر من رد فعل إيراني، بينما يرى آخرون أن السبب يعود إلى إن الرئيس الأمريكي باراك أوباما لا يميل إلى لغة القوة، ويفضل التفاوض والدبلوماسية في التعامل مع الملفات الساخنة، وأنه لا يريد أن يكرر سياسة سلفه، جورج بوش، الذي دخل حربين في أفغانستان والعراق، كانتا سببا في تزايد الكراهية لدولة العم سام، إضافة إلى الخسائر والنتائج الفاشلة للحملتين العسكريتين بينما يرى فريق ثالث أن السبب يعود إلى أن تقارير الاستخبارات الأمريكية تؤكد أن إيران لا تزال بعيدة عن تصنيع السلاح النووي وأن خيار الحرب يمكن أن يظل في ذيل قائمة الخيارات الأخرى مثل التفاوض والعقوبات وقد تكون كل هذه الأسباب مجتمعة صحيحة، لكن أحدث التحليلات ترى أن هناك أبعادا أخرى للقضية تتمثل في البعد الاقتصادي .

وقد تولى أوباما الإدارة الأمريكية والعالم يعاني أزمة اقتصادية حادة، بسبب السياسات الاقتصادية الأمريكية التي ابتعدت عن الوضوح مما أفسح المجال أمام الاحتيال المصرفي وأدى الى زيادة القروض غير

المضمونة وترافق ذلك مع زيادة في الديون المعدومة والتلاعب بالتصنيف الائتماني وفي أول ظهور رسمي بعد انتخابه وعد أوباما بمعالجة الأزمة الاقتصادية على وجه السرعة، وقال إنه سيركز على إيجاد وظائف جديدة لمواجهة البطالة التي وصل معدلها إلى٦.% وتشير التحليلات إلى أنه وسط الكساد الاقتصادي العالمي ونسبة البطالة العالية، فإن قصف إيران لن يكون خيارا مطروحا، فأي هجوم على إيران سيرفع أسعار النفط بشكل كبير ويعيد الاقتصاد العالمي إلى الأزمة المالية مرة أخرى، كما أن مثل هذه الهجوم سيقدم للنظام في طهران فرصة لحشد المواطنين الإيرانيين خلفه والضرب بأي طريقة ممكنة ويؤكد خبراء أن الإيرانيين لن يتمكنوا من إغلاق مضيق هرمز أو إلحاق ضرر كبير بالأسطول الأمريكي أو المنشآت النفطية في الخليج، لكن تكاليف التأمين للشحن البحري سترتفع بشكل هائل كما أن الإحساس بعدم الاطمئنان حول مستقبل الإمدادات النفطية سيهز الأسواق ويرفع أسعار النفط بشكل أكبر ونتيجة لذلك، فإن أكثر المستفيدين من أي هجوم على إيران سيكون الدول المنتجة للنفط، بما في ذلك إيران نفسها، التي ستستخدم الدخل الإضافي لتشدد قبضتها على السلطة .

وإذا حدثت أن تحرك حلفاء إيران في لبنان وفلسطين لضرب المصالح الأمريكية، فذلك سيؤدي إلى فوضى وانعدام الأمن، وبالتالي سيلوم العالم

أوباما وسيعتبرون ضربته العسكرية سلوكا متهورا سيؤدي إلى انهيار الاقتصاد العالمي، كما أنه من غير المستبعد أن يقرر الناخب الأمريكي عدم التصويت مجددا لأوباما في الفترة الرئاسية الثانية والأمر هنا يتعلق بتكلفة سياسية هائلة بسبب انهيار الاقتصاد العالمي، لذا يظل فرض العقوبات على إيران هو الحل المنطقي في اللحظة الراهنة، وفق النظرة الأمريكية الجديدة.

استبعاد المشاركة الأمريكية المباشرة

رغم استبعاد المشاركة الأمريكية المباشرة إلا أن هناك احتمال تدخلها في مرحلة لاحقة على ضوء المستجدات الميدانية، ويمكن اختصار هذا التوضيح في النقاط التالية:

١- إن مواجهة مع إيران تعني فتح جبهة ثالثة تبدو فيها أمريكا مرتبكة وضعيفة وموحلة أكثر أضعافا مما هو حاصل الآن قد تؤدي إلى نتائج كارثية غير مسبوقة على أمريكا وتواجدها في المنطقة، وقد أشار العديد من القادة العسكريين ومنهم رئيس الأركان الأمريكي نفسه، إلى مخاطر مثل تلك المواجهة التي قد تؤدي إلى فتح جبهة ثالثة وتهديد الأسطول الأمريكي في الخليج.

٢- هناك استعدادات إيرانية كبيرة ومكثفة لقواتها البحرية وتركيز واضح

على تطوير قدراتها وأسلحتها وتقنياتها لمواجهة القطع البحرية الأمريكية في المنطقة وهو تهديد خطير لهيبة أمريكا وأسطولها البحري الذي تهيمن به على المنطقة، لاسيما إذا علمنا أن بعض هذه القطع عبارة عن بوارج ومدمرات وحاملات طائرات عملاقة تسير بالطاقة النووية وتحمل على متنها الآلاف من الجنود بما يعادل مدنا متنقلة، وقد عبر عن ذلك قائد الأسطول الخامس الأمريكي الذي اعتبر المواجهة كارثة على البحرية الأمريكية.

٣- إن تواجد قوات أمريكية في العراق بقواعد أرضية وثكنات ثابتة يتواجد فيها ما يزيد على مائة وعشرين ألف جندي يعتبر هدفا سهلا لإيران وحلفائها في العراق، ومقتلا مفصليا لأمريكا التي قد تجد نفسها محاصرة ومحرجة وغير قادرة على الخروج من العراق إلا أشلاء أو أسرى بالعشرات بين المقاومة السنية والمقاومة الشيعية الحليفة لإيران والقصف الإيراني المتواصل لها، الذي قد يتحول إلى عمليات خاصة وسريعة في المستقبل مع تطور العمليات.

٤- إن إغلاق مضيق هرمز الذي تهدد به إيران يشكل مقتلا اقتصاديا لأمريكا والعالم في أغلبه، وإن أي مواجهة أمريكية مع إيران سوف يكون الهدف الأول لرد الاعتداء وتهديد المصالح الأمريكية في المنطقة والعالم في بعده الاقتصادي باعتبار أمريكا مسئولة عن هذه المواجهة، وهنا من يشكك في القدرة التقنية والعسكرية الإيرانية على إغلاق

المضيق، ويتناسى هؤلاء أو ربما تنقصهم المعرفة أن إغلاق المضيق لا يحتاج إلى إغلاق مادي بالمعنى الكامل للكلمة، إذ يكفي أن توجه إيران تهديداً باعتبار المضيق منطقة عسكرية خطرة يمنع المرور فيها مع قيامها بزراعته بشكل عشوائي بألغام بحرية يرافق ذلك قصف عشوائي أو انتقائي للسفن التي تخترق الحظر، عندها لن تجرؤ أية شركة أو دولة أو سفينة على المرور من المضيق.

٥- هناك معارضة قوية من الشعب الأمريكي والرأي العام العالمي للمواجهة مع إيران بل أصبحت هذا المواجهة كابوسا عند الحديث عنها في الإعلام الأمريكي، وهذا يتناسق مع المعارضة التي تبديها دول المنطقة لهذه المواجهة التي تراها تشكل خطراً على مصالحها وبقاء أنظمتها.

٦- ولكن لهذه القاعدة استثناءً مهم وخطير للغاية إذ أن أمريكا قد تتخذ قرار التدخل المباشر لضرب إيران، إذا وجدت أن رد الفعل الإيراني على الضربة الإسرائيلية ضعيف وباهت وغير مؤثر، عندها سوف تدرك أمريكا مدى الضعف العسكري الإيراني الذي كان يعلو صوته ادّعاءً وتهديدا كلاميا دون فعل يذكر، مما يشجع أمريكا على الدخول المباشر في المواجهة وتوجيه ضربات قاصمة للقدرات الإيرانية لتحقق بذلك هدفين، هما نسف وتعطيل القدرات النووية والعسكرية الإيرانية لأجيال قادمة، والثاني التعويض عن هزيمتها أو لنقل فشلها في العراق

وأفغانستان واسترداد هيبتها كدولة عظمى من جديد، أما اذا وجدت ردا إيرانيا قويا، أو بالأحرى إذا أفسح المجال لرد إيراني قوي وحاسم فإن أمريكا سوف تأخذ جانبا توفيقيا من أجل الحفاظ على إسرائيل وعدم وقوع مزيد من الخسائر فيها.

ورغم حتمية المواجهة التي يدركها الإيرانيون من عمق معرفتهم بالعقلية الإسرائيلية إلا أن احتمال عدم وقوعها تبقى حلما يسعى الإيرانيون إلى تحقيقه باعتبار أنها واردة ولكنها محدودة وتدخل في دائرة المعجزات التي يمكن تحقيقها في ظل اعتبارات ضيقة، إذ لا شك أن إيران تسعى جاهدة لمنع أية ضربة إسرائيلية لها وهي تسعى عموما لتعطيل أو تأخير المواجهة مع إسرائيل وأمريكا، لذلك جاءت تصريحات الرئيس أحمدي نجاد في هذا الإطار في أعقاب اجتماع وزاري أنه يرحب بالتبادل الدبلوماسي مع أمريكا إذا طلبت أمريكا ذلك، وهي تسعى إلى عدم المواجهة من أجل تحقيق ثلاثة أهداف رئيسة تتمثل في:

- استكمال إيران لاستعداداتها العسكرية والتقنية للمواجهة التي تحقق لها الغلبة.
- إتمام عمليات التخصيب والدورة النووية الكاملة لاستكمال بناء قدراتها النووية والإنتاجية في هذا المجال.
- اختيار الزمان والمكان والظروف المناسبة لها ولحلفائها في المنطقة

للمواجهة المحتملة أو المقررة مستقبلاً مع الكيان الإسرائيلي.

ولكنّ المسالة هنا تتعلق بالقرار الإسرائيلي الذي تحكمه عقدة البقاء وهواجس الزوال، لذلك فإن الاندفاع والمغامرة الإسرائيلية في المواجهة وضرب إيران لن يردعها أو يوقفها أو يعطلها مؤقتا سوى أربعة عوامل منفردة أو متحدة وهي:

أولا- أن تسلم إيران للوكالة الدولية وللأمريكان بما يريدون ويطلبون على غرار ما حدث مع العراق بحيث تصل الأمور إلى تفتيش الحوزات العلمية والمراقد المقدسة والعباءات والعمائم وربما قبر مؤسس الثورة الإيرانية الخميني لتصل في النهاية إلى ضرب إيران دون حسابات تذكر، وما الحوافز الأوروبية سوى طعمٍ أولي لاصطياد فم السمكة وسحبها إلى الشاطئ للإجهاز عليها وطبخها أو بيعها في سوق السمك.

ثانيا- أن لا تأذن أمريكا لإسرائيل بضرب إيران حقيقة وليس خداعا، وبالتالي امتناع أمريكا عن تقديم الدعم السياسي والإسناد اللوجستي والإمداد العسكري والتسهيلات وقواعد الانطلاق وغيرها، عندها لا تستطيع إسرائيل أن تتولى على عاتقها مسئولية العمل وتنفيذه ولا تستطيع القيام بذلك إطلاقا وهنا أمر خطير لا بد من التنويه عنه وهو تضليل للرأي العام العالمي والأمريكي والقادة الإيرانيين بحيث تعلن أمريكا إعلاميا وعلى مستوى دبلوماسي وليس رئاسي أنها لا تأذن لإسرائيل بضرب إيران بل وتعلن أكثر من ذلك عدم موافقتها على ضرب

إيران، ولكن في حقيقة الأمر تعمل أمريكا بسرية تامة على تقديم كل سبل الدعم والإسناد والتسهيلات العسكرية والتشويش الألكتروني على إيران على أن يتبع ذلك دعم سياسي لإسرائيل بعد الضربة وتبعا لردود الفعل الإيرانية ومجريات المواجهة وما ينجم عنها بحيث تجنب أمريكا نفسها رد الفعل الإيراني على قواعدها العسكرية في المنطقة وقواتها في العراق، وفي الوقت نفسه تقدم كل الدعم المطلوب لإسرائيل بشكل سري، وعلى ضوء النتائج يتطور الموقف لاحقا ما بعد الضربة ثالثا- أن تقتنع إسرائيل وأمريكا استخباريا وعسكريا بمعلومات موثقة أن إلجام إيران ومنعها من رد حاسم مدمر على إسرائيل من الصعب تحقيقه، حتى ولو تم بضربة نووية تكتيكية شاملة، عندها سوف تختار إسرائيل مجبرة أجلها المؤقت مستقبلا على يد الإيرانيين، على خسائرها الفورية التي قد تؤدي إلى انهيارها، لاسيما أن الكيان الإسرائيلي يعاني من عقدة المحرقة الإسرائيلية ومن ضعف كيانه جغرافيا وتجمع نصف سكانه اليهود في محور ضيق في تل أبيب وما حولها، مما يؤدي إلى سهولة انهياره في حال توجيه ضربة صاعقة حاسمة له، ولذلك سوف تعيد إسرائيل وأمريكا الحسابات وسوف يجدون مخارج دبلوماسية لحفظ ماء الوجه ومهادنة إيران، ولو اقتضى الأمر إعادة تقسيم المنطقة بينها وبين إيران، على أن يزول التهديد القائم على إسرائيل ولكن المعلومات الصحفية والتقديرات الغربية ومنها الروسية تفيد أن قدرات إيران

الصاروخية محدودة ويمكن احتواؤها وأن إيران عاجزة عن إغلاق مضيق هرمز وبالتالي فإن هذه القناعات من الصعب تولّدها ووقف الضربة على أساسها، هذا إن صحت هذه التقديرات التي قد تكون في إطار التكتيكات والحرب النفسية المضادة.

رابعا- أن توجه إيران ضربة استباقية حاسمة وشاملة تربك المؤسسة العسكرية وتفزع المجتمع الإسرائيلي بخسائر مذهلة تشل القدرة الإسرائيلية على الرد وتضع الكيان الإسرائيلي أمام خيارين؛ إما السكوت على الضربة وطلب التدخل الغربي لاحتواء الصراع سلميا من أجل لملمة الكيان الإسرائيلي لأشلائه وإعادة ترتيب أوضاعه بما لا يؤدي إلى إفراغ سريع وهجرة يهودية معاكسة وبوادر انهيار وتحولات في المعادلات الإقليمية والدولية لا تخدم إسرائيل على ضوء ما حدث، وإما أن ترد إسرائيل على الضربة الإيرانية وهو احتمال ضعيف إذ يأتي هنا الدور الإيراني في توجيه تهديد لإسرائيل وأمريكا أن أي رد من قبل إسرائيل وأمريكا سوف يترتب عليه توجيه ضربة ثانية أكثر قسوة وعنفا قاصمة ومدمرة، ولا أعتقد أن الكيان الإسرائيلي سكانيا وجغرافيا ونفسيا وحتى عسكريا قادر على تحمل ضربة تالية أخرى لاسيما إذا التقى معه فيها الحلفاء في حزب الله وحماس وسوريا، وهي بالتالي ستقبل السكوت وعدم الرد على ردٍّ قد يؤدي إلى انهيار الكيان الإسرئيلي أو تدميره بشكل

كبير، وهي تعرف أنها تتعامل مع إيران العقائدية المستعدة للمواجهة ومع حلفاء لها يطوقونها وتعرف إرادة القتال والمواجهة معهم.

ساعة الصفر

إن ساعة الصفر في هذه المواجهة يمكن أن يحددها أحد الطرفين وليس كلاهما، لأن المباغتة سيدة الموقف لتحقيق الهدف والبادئ فيها صاحب الضربة الأولى هو الذي يحدد ساعة الصفر وهو الذي يحقق الظفر ويلجم الآخر ولو نسبيا، ومن ينتظر الضربة ليرد عليها فهو خاسر ولو نسبيا، لأن الحسابات كلها تشير إلى أن الحسم والأسلحة غير التقليدية واردة لتحقيق الهدف، لأن الفشل في تحقيق الهدف أسوأ من المباشرة فيه كما يؤكد بذلك الإسرائيليون أنفسهم، بأن السكوت وقبول الأمر الواقع أفضل من ضربة فاشلة لا تحقق الهدف، لذلك فهم عازمون على ضربة قوية شاملة تحقق الهدف بما يعني ذلك استخدام أسلحة غير تقليدية وتقنيات متطورة وأهداف حساسة تحقق لهم الغاية المطلوبة.

أما ساعة الصفر بالنسبة للإسرائيليين فات أوانها لأنها كانت من الأنسب لهم ان تكون غى عهد الهالك بوش ، ولم يكن يمكن تأجيلها إلى الإدارة الأمريكية الحالية التي قد لا تلبي لهم الإذن، وثانيا تلبية الرئيس بوش لهم بإعطاء الإذن والإسناد الذي وعدهم به في حال توقف الحوار

مع إيران كما صرح بذلك علنا،وثالثا الاستعدادات الأمريكية في الخليج لتقديم الدعم لهم، ورابعا التوقيت المناسب للعمليات والذي لا بد أن يكون مباغتا لتحقيق الغاية وتدمير الأهداف بالأسلحة المناسبة وحسب الخطة.

وأما ساعة الصفر بالنسبة للإيرانيين فتحكمها قناعة القادة العسكريين الإيرانيين واستجابة القادة السياسيين ومباركة القادة الروحانيين وعلى رأسهم مرشد الثورة الخامنئي بأن ضربة استباقية حاسمة وشاملة على إسرائيل لا بد منها لأنها سوف تدفع عنهم الحقد الإسرائيلي واندفاعه بأسلحة قد تكون غير تقليدية وتضع حدا للمواجهة الأمريكية الإسرائيلية معهم وتحقق لهم الاستمرار في المشاريع العسكرية والنووية، أما إذا انتظر الإيرانيون الضربة الإسرائيلية المتوقعة كما حدث للعراق والرئيس صدام (١)عندما انتظر الضربة الأمريكية مع اختلاف جوهري وكبير في نوعية الأسلحة المستخدمة هذه المرة من قبل الإسرائيليين، فأعتقد أن الوضع العسكري والميداني سوف يحسم ضد إيران وحلفائها في المنطقة كما كانت سيرة من سبقهم في هذا السياق. التعامل بالذرة في المشاريع السلمية والعسكرية يبقى حلما يراود أفكار السياسيين في كثير من دول العالم كما أن إقتناء السلاح

---

١)عن مقال د. محمد أحمد جميعان -بتصرف

النووي لدولة ما يعني استقرارا نفسيّا واطمئنانا نسبيّا لتلك الدولة من التهديدات العسكرية الأجنبية واعتداءات الغير عليها فضلا عن أن حيازة سلاح كهذا يعني زيادة في جبروت تلك الدولة واتساع في نفوذها وقوتها.

ومهما كان الهدف المنشود من اقتناء السلاح النووي أو الذري فقد أصبح الوصول إليه اليوم، وفي ظل وجود شرطيّ أوحد يراقب تحركات العالم، حكراً على دول في العالم دون غيرها إذ بات التعامل بهذه التقنية خطّا أحمرا لا يتجاوزه الآخرون وقد أدركت هذه الحقيقة معظم الدول التي كان لها طموح في استخدام النشاط النووي بمشاريعها المختلفة وأسدلت ستار النسيان على هذا الطموح والى أجل غير مسمّى على أقل تقدير، وفضلت الإبتعاد عن النار دون اللعب بها والإكتواء بلهيبها

إلاّ أن هنالك من تمرد على هذه الحقيقة المرّة ورفض الإذعان القاهر واستمر باستخدام الذرة في مشاريعه وبرامجه، معتبرا ذلك حقا له وليس مأخذا عليه فكان الإيرانيون مثلا حيّا لهذا التمرد على الإرادة الأمريكية والأوربية المزدوجة في هذا المجال وقد بدأ السجال الإيراني الغربي ولعبة جر الحبل بين الطرفين منذ أن أعلنت إيران استخدام الذرة في مشاريعها المدنية وإلى اليوم إلاّ أن نتائج هذه اللعبة لم تظهر بعد، حيث أن الظروف التي مرّت بها الإدارة الأمريكية خلال الحقبة الأخيرة من

الزمن ومأزقهم في العراق قد لعب دورا هاما ورئيسيّا في تباطؤ الجانب الأمريكي عن إعلان ساعة الحسم وإنهاء الموقف.

ومهما يكن فأن عجلة الزمن السائرة بغير إتجاه الإرادة الأمريكية سوف لا تؤدي إلى إلغاء القرار الأمريكي أو التغافل عنه بل سيبقى هذا القرار كالنقش في الحجر والذي يتلخص في أن تتوقف إيران عن مشروع تخصيب اليورانيوم والذي يستخدم عادة لإغراض مدنية أو عسكرية على حد سواء، وبدون ذلك فستستخدم أمريكا كافة الوسائل بما فيها الخيار العسكري لإيقاف ذلك.

أن الملف النووي الإيراني، من وجهة النظر الأمريكية، يجب أن يطوى ويغلق وعلى السياسيين الإيرانيين أن يدركوا أن أمريكا لا تسمح بالمحرمات في قواميسها، وأن حصول إيران على التسهيلات النووية والتي ربما تفضي للحصول على القنبلة النووية هو من أنكر المحرمات عند الأمريكيين وذلك طبقا لما يلي:

١- إقتناء إيران للقنبلة النووية يعني تهديدا حيّا ومباشرا لأمن إسرائيل ووجودها، وهذا هو خط أحمر لا يمكن السماح لأحد أن يتجاوزه ولا يحتاج إلى توضيح أو تفصيل أو تبرير!

٢- حصول إيران على السلاح النووي يعني سقوط عامل التفوّق العسكري الأمريكي الكلاسيكي عليها إذ لا يمكن لأمريكا أن توّجه ضربات عسكرية إلى إيران في ظرف ما وهي تمتلك سلاح نووي أي أن هذا

السلاح يلعب دور الرادع لأي هجوم عسكري كلاسيكي أمريكي أو أوربي عليها وهذا ما سيضعف حالة الموازنة والتفوق والسيطرة العسكرية الأمريكية على إيران، هذه الدولة المارقة وهي الدولة رقم واحد من بين دول محور الشر حسب تصنيفات أمريكا ومفردات قواميسها!

٣- سوف تشعر عموم دول المنطقة بالضيق والحرج من جراء وجودها ما بين طرفي كماشة نووية ذراعيها السلاح النووي الإيراني والإسرائيلي.كما أن ازدياد النفوذ والقوة لأي طرف في المنطقة ربما يؤدي إلى مضاعفات تضر بمصلحة ومستقبل هذه المنطقة الاستراتيجية والهامة من العالم. وأي اضطراب في أمن واستقرار هذه المنطقة سوف يضرّ بالمصالح الأمريكية خاصة ومصالح معظم دول العالم بشكل عام.

أن التمعن والتبصر في عمق وآثار هذه الأسباب لا يجعل للشك بابا مفتوح بشأن تردد أمريكا في ضرب إيران عسكريّا لمنعها عن مشروعها النووي إن فشلت كافة الأساليب السلمية في ذلك فعلى إيران أن تتدبر بالحنكة والذكاء خطورة الموقف وحساسيته، وأن تتعلم من التاريخ دروسا فلا تسلك نفس النهج الذي نهجه صدّام حسين في سيرته المتميزة بالعناد والتصلب، فيضيع الخيط والعصفور! لأن الذي سيحدث للإيرانيين لو تمسكت إيران بموقفها سوف لن يكون أقل سوءا مما حدث للعراقيين عبر تاريخ صدام حسين حيث لا يزال العراقيون يئنون من وطأة ذلك،

يقول بعض المحللين السياسيين أن الخيار العسكري الأمريكي أو ضرب إيران عسكريا أمرا فيه مخاطر شديدة على المنطقة بشكل عام وعلى المصالح الأمريكية بشكل خاص، مما قد يردع الأمريكيين عن اتخاذ هذا المسار وان صحت هذه النظرية فسيكون الخيار الغربي المتبع، على الأرجح، هو محاصرة إيران سياسيا واقتصاديّا بحيث تفقد الكثير من قواها المطلوبة للتقدم والإنتعاش وستشجّع أمريكا بعض دول المنطقة على استخدام التقنية النووية أيضا، مما يجعل المنطقة ساحة سباق نووي لا تحمد عقباه حيث تفقد إيران عندها ميزة التفوّق العسكري غير الكلاسيكي على الغير ويتوقع المراقب للأحداث أو المحلل السياسي أن لإيران معرفة تامة بمعنى النزاع العسكري مع أمريكا وحتمية وقوعه إن لم تتصرف فى الوقت المناسب بالفعل المناسب حيث أن للمناورة وعملية كسب الوقت حدود ومدى وأن خطوط الرجعة قد تكون مقطوعة أو مفقودة في بعض الأحيان